الباب السادس

محور الدعوة

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

لقد جاء الأمر بالدعوة صريحا وبخطاب موجه للفرد المؤمن ولكنه جاء مقرونا بما يشبه التفصيل في بيان وسائل الدعوة وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وجاء نص آخر منبها إلى اللين مع المدعوين وبيان أن الفظاظة والغلظة تؤدي إلى عكس مقصود الداعية وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

وجاء نص آخر ينهى عن سب الذين أشركوا مبينا ما يترتب عليه، ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ وفي السنة النبوية أمر بالدعوة يكاد يعين الأمر بالدعوة على جميع المسلمين وهو قوله (ص) «**بلغوا عني ولو آية**» ولكن تعددت النصوص السنية فتبينت وسائل الدعوة خاصة اللين واليسر ناهيك عن ضد ذلك، نجد هذا مثلا في قوله (ص):« **إنما بعثتم هداة لا جباة**» وقوله (ص):« **يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا**» وهكذا.

رغم كل ذلك نجد بعض المسلمين يحملهم الحماس للدعوة على عكس أدب الدعوة فيأخذون الناس بالشدة، ويلفظون عليهم في العبادة، ولا تنبههم إلى خطئهم نتائج وسائلهم التي تأتي تماما حسب ما حذرت منه النصوص آنفة الذكر، تنفر المدعوين بدل أن تكسبهم لصالح الدعوة. وأكثر من ذلك فإن البعض يمارس الدعوة عن طريق العنف والإكراه كأنما يريد أن يدعم فرية انتشار الإسلام بحد السيف، يسمى ذلك جهاداً ويفهم الجهاد ابتداء بالقتال ومحاولة إكراه الآخر على اعتناق الدين، لذلك يلزمنا أن نراجع وسائل وأساليب الدعوة لضبطها بضوابطها التي جاءت في الكتاب والسنة اقتفاء لأثر المصطفى ﷺ.

الخاتمة:

هكذا فإننا نرى أن أساليب الدعوة ينبغي أن تنأى عن العنف، وتركز على التوعية والتربية والتعبئة مستخدمة في ذلك وسائل الإعلام، ومنابر الدعوة، منضبطة بأساليبها التي بينتها نصوص الكتاب والسنة على أن تنطلق من فهم شامل للإسلام كعقيدة وعبادات، ومنهج حياة.

أساليب الدعوة والتغيير الاجتماعي:

في ظروف معينة، وأمام زحف التتار على ديار المسلمين اجتهد بعض الفقهاء ورأوا أن حماية بيضة الإسلام توجب تقديس المسؤولية السياسية، وعلى نفس النمط اجتهد الشيخ أبو الأعلى المودودي[1] وصاغ مفهوم الحاكمية لله على نحو مشابه لمقولة الإمرة لله. إن الذين رأوا باجتهاد معاصر أن يعطوا الإمرة أو القيادة السياسية قدسية تناهز قدسية العقائد والعبادات مهدوا للتطرف الإسلامي المعاصر الذي جعل اجتهاد أصحابه السياسي هو موقف الأمة كل الأمة ونفى رأي الآخرين باعتباره كفرا وخروجا عن ملة الإسلام. هذا الاعتقاد هو الذي مهد للتيارات الاحتجاجية المتطرفة المعاصرة، عبر تكريسه للاستبداد، وفتح باب المظالم السياسية والاجتماعية.

نعم إن المسلمين في محنة، ويواجهون اضطهادا عظيما وإذلالا على يد الهيمنة الدولية وإسرائيل. إن أصحاب هذا الاتجاه اعتبروا أنفسهم مبعوثي العناية الإلهية واستحلوا لأنفسهم العمل لاستلام السلطة بالقوة والانفراد بها، واستحلوا لأنفسهم استخدام أساليب العنف العشوائي الذي يزهق الأرواح البريئة ويدمر

(1) أبو الأعلى المودودي (١٩٣٠ - ١٩٧٩م) مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند عام ١٩٤١م ويعد من أكبر منظري الحركة الإسلامية الحديثة.

الأملاك في سبيل تحقيق أهدافهم.

الإمرة لا تكون في شريعة الإسلام إلا عن طريق: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]. والعمل من أجل الأهداف مهما عظمت لا يكون إلا بموجب ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2].. و ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3] وقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[4] وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[5]. وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[6]. والقتال في الإسلام له ضوابطه وهي: الدفاع عن النفس وعن حرية الدعوة. إن ربط الإسلام بالسلطة السياسية المستبدة، وربط العمل الإسلامي بأساليب العنف العشوائي جلب للإسلام ضررا كبيرا وأعطى أعداءه حجة قوية للنيل من ديباجته الوضاءة.

إن علينا معشر أهل القبلة أن نرفض أية عملية استيلاء على السلطة بالقوة الغاشمة لا سيما الانقلاب العسكري. وأن نرفض أية دولة تقوم على أساس بوليسي يقهر الناس. وأن نرفض أية صلة بين الدعوة للإسلام والعنف العشوائي. وأن نعتبر الاستيلاء على السلطة باسم الإسلام ترهيبا بعيدا عن مقاصد الشريعة، كما نعتبر أية دولة بوليسية قاهرة خارجة على مقاصد الشريعة.

لقد صار نهج الذين ربطوا الإسلام بالاستبداد الغاشم وهم في السلطة، والذين انتهجوا العنف العشوائي كأسلوب لمعارضة النظم الشرعية، وإن كانت شرعيتها

(1) سورة الشورى الآية ٣٨.
(2) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(3) سورة الأعراف، الآية ١١٩.
(4) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
(5) سورة الغاشية، الآيتان ٢١-٢٢.
(6) سورة ق، الآية ٤٥.

ظنية، سبة على الإسلام، ووسيلة للإساءة إليه، ومخلب قط للتدخل الأجنبي، لذلك وجب علينا أن نتبرأ منهم وندين نهجهم .. هذا طبعا لا ينطبق على الذين يتخذون العنف أسلوبا لمقاومة الاحتلال الأجنبي، فهم إنما يردون على العدوان بمثله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [1].

إن أسلوب الدعوة المشروع هو بالتي هي أحسن، والتغيير المشروع هو بالتعبئة الشعبية، وبالعمل المدني الخدمي، وبالترجيح الديمقراطي؛ لأن أساليب العنف ضد النظم المؤسسة بشرعية ذات قبول واسع يؤدي لنتائج عكسية، لا سيما العنف العشوائي والانقلابات العسكرية التي ما بنت قصرا إلا هدمت مصرا وما ادعت عمل إصلاح إلا أتت أضعاف أضعافه من الإخفاق.

التصوف:

التطلع للاندماج في خالق الوجود، والترفع عن الانغماس في مباهج الوجود، نزعتان عرفهما الفكر الديني والفكر الفلسفي، وهما أساس «المستسزم» في الأديان والاستشراق في الفلسفات، والتصوف في الإسلام.

كل مقولات الإسلاميين تعود إلى مراجع في النصوص المقدسة، وإلى الظروف المحيطة بالمسلمين. النصوص الإسلامية الموحية بالتصوف كثيرة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [2] وقال في حديث قدسي رواه البخاري [3]:

---

(1) سورة البقرة آية ١٣٩.

(2) سورة الحديد الآية ٥٧.

(3) البخاري (الإمام) (١٩٤ - ٢٥٦هـ/ ٨٠٩ - ٨٦٩م): محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدوبه البخاري اجعفي، إمام أهل الحديث وصاحب الجامع الصحيح» المعروف بصحيح البخاري.

« مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَلَتَهُ».

أما الظروف الاجتماعية والتاريخية التي دفعت نحو التصوف فكثيرة أهمها : إن الدول التاريخية التي حكمت المسلمين بعد الصدر الأول تشبهت بدول الأكاسرة والقياصرة في كثير من مناهجها، مغفلة كثيرا من الهداية الروحية والخلقية كما أن النظام الاقتصادي الذي واكبها اتسم بصفات رأسمالية أنانية خالية من رحمات العدالة الاجتماعية.

هذا الجفاف والتصحر الروحي والخلقي أوجد الحاجة الماسة لمنظومة غيبية تشبع التطلعات الروحية والغايات المثالية.

كذلك اندفعت الاجتهادات الفقهية لدى كثير من المجتهدين في اتجاهات ركزت على الشعائر، وعلى صياغة الأحكام، فغلبت عليها شكليات التقنين على حساب النوايا والجذور الروحية.

الحكم القائم على الاستبداد السلطاني وسع المسافة بين الحكام والرعية. والاجتهاد الفقهي القائم على الشعائر والأحكام وسع المسافة بين الفقهاء والمفتين من جانب والجمهور العريض.

نشط التصوف لسد هذه الثغرات، واستطاعت الطرق الصوفية أن توفر للمريدين واحات للإشباع الروحي والتربوي في المجتمعات الإسلامية. كما استطاعت في وقت انشغال الدول الإسلامية بأولويات السلطة والمال، أن تعنى

بالدعوة للإسلام ونشره في كثير من بقاع الأرض في آسيا وأفريقيا وأوربا.

استطاعت الطرق الصوفية أن توفر للمجتمعات الإسلامية مواعين انتماء حميم ومباشر، وكسبت للإسلام أراض جديدة، وفي ظروف التغلب الأجنبي ابتدعت وسائل تعايش سلمي معه، وفي الظروف التي جعلت المجتمع المسلم أسيرا في قبضة نظام سياسي مجاهر بالإلحاد كالاتحاد السوفيتي (سابقا) وفرت للمسلمين وسائل بيات شتوي أبقى على العقيدة حية في شكل خافت.

ينبغي لنا ونحن نتطلع لمرجعية إسلامية جديدة أن نلقي الضوء على كافة مقولات الإسلاميين ذات الوزن في المجتمعات الإسلامية لدعم الإيجابيات وتجنب السلبيات.

أهم ما لحق بالتصوف من سلبيات:

(أ) نزعة الاندماج في خالق الوجود تأثرت بفلسفات هندية ويونانية ودفعت ببعض المدارس الصوفية نحو رؤى حلولية، وتصورات تعتقد بوحدة الوجود.

(ب) شعبية التصوف جعلته أكثر ارتباطا برؤى التدين لدى الأوساط الشعبية وهي رؤى مستغرقة في الغيبيات والعجائبيات.

(ج) صحب التصوف اهتمام بالنجاة الفردية على حساب الاهتمام بالإصلاح السياسي الاجتماعي ودفع استحقاقاته.

(د) في كثير من الأحيان أدى التعايش مع المتغلبين إلى التخلي عن واجبات التحرير.

إن التصوف قوة حية في المجتمعات الإسلامية ولا يرجى استنهاضها ما لم تحدث صحوة صوفية تعزز الإيجابيات وتتجاوز السلبيات.

إن للتصوف دورا هاما في المجالات الآتية:

أولا: التركيز على رابطة المحبة بين الله والناس، وبين المؤمنين تركيزًا من شأنه أن يدعم التسامح وقبول الآخر.

ثانيا: إشباع الجوع الروحي والتربوي لدى الشباب لكيلا يقعون فريسة لتيارات الغلو التي تقودهم لاحتجاجات العنف العشوائي.

ثالثا: النظرة المثالية والزهدية في مباهج الدنيا أساس محمود للربط بين قيم التصوف، وقيم الجهاد لمواجهة الظلم والطغيان.

رابعا: الطرق الصوفية صالحة لدعم المجتمع المدني والاهتمام بأنشطة اجتماعية خدمية في التعليم والصحة وإغاثة المحتاجين.

خامسا: مثلما للتصوف دور هام في دعم التسامح بين الفرق الإسلامية فإن له دورا هاما كذلك في دعم التعايش والحوار بين الأديان.

الإعلام:

الإعلام في البلدان الإسلامية اليوم يعاني من حزمة عيوب. فالصدق وسائر مكارم الأخلاق قيم إسلامية ملزمة. كذلك احترام الرأي الآخر الذي تبرزه الشورى، ومنع الجهر بالسوء من القول، وإيجاب النصيحة للكافة.. الدين النصيحة لله ورسوله وللمؤمنين.

إن القيم الإعلامية الإسلامية من حيث الخبر الصادق، واحترام الرأي الآخر، والبحث عن المقولة الاجتهادية الجادة، والترفيه البريء معلومة ولكنها غير مرعية في غالبية البلاد الإسلامية.. إنها بلدان تعاني في الغالب من إعلام موجه لدول مستبدة.

الصدق من أوائل ضحايا الاستبداد؛ لأن الاستبداد يقوم على إدعاء كاذب، وعلى إنكار المثالب، وعلى تزييف الحقائق. والاستبداد يغيب الرأي الآخر عمدا

لأنه يحرص على بث خط أحادي.

والعيب الثالث الذي يعاني منه الإعلام لدينا هو التناول النمطي السطحي للقضايا. الحرية، والتنافس بين الآراء هما شرطان واجبان للاجتهاد فإن غابا صار الاجتهاد عقيما.

والعيب الرابع في الإعلام السائد حاليا هو كثرة البرامج الترفيهية الهابطة في الأفلام والمسلسلات والأغاني.. إن كثيرا من أغاني الفيديو كليب السائدة في الفضائيات الآن مشاهد تحرش جنسي.

هذه العيوب الموجودة بدرجات متفاوتة في الإعلام في بلداننا أطاحت بقيمة هذا الإعلام وأفقدته صدقيته.. وفي مجال صدق الخبر، واحترام الرأي الآخر، فإن البرامج الإعلامية جعلت وسائل الإعلام الأجنبية جاذبة.. حقا لا ينفذ العدو من حدودنا لكنه يدب كالنمل من عيوبنا.

وسائل الإعلام العالمية صارت تصل للمواطن في كل مكان بأخبارها، وتحليلاتها، وتنوعها، وترفيهها، وتبث إعلاما ذا مستوى يحترم عقل المتلقي، ومهما كان فيه من غرض فإنه مخفي بصورة ذكية.

الإعلام الوطني والإسلامي لا يعمل في فراغ.. إنه يعمل في تنافس مع إعلام عالمي رفيع المستوى والإمكانات فإذا هو تخلف عنه فإنه بالمقارنة يمنح الإعلام العالمي جدوى وفاعلية. كانت هذه المقارنة من أهم أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي بإعلامه الأحادي الممل أمام الآلية الإعلامية الغربية الباهرة.

إن على الإعلام الوطني في البلدان الإسلامية أن يحقق إصلاحا يحقق الآتي:

أ) تحري الخبر الصادق الدقيق المستمد من شبكة مراسلين ومحررين قادرين على نقل المعلومة من كل مكان وفي كل مجال.

ب) أن يفسح الإعلام المجال واسعا للرأي والرأي الآخر.

ج) أن يتناول القضايا المختلفة الفكرية والسياسية، والثقافية، والأدبية، والاقتصادية، والرياضية بدرجات رفيعة من الاجتهاد.

د) أن يهتم الإعلام كما ينبغي بالتوعية والخطاب الديني متجنبا الانكفاء من ناحية والتبعية للوافد من الناحية الأخرى.

ه) أن يعبر عن التنوع الفكري والثقافي في المجتمعات المعنية.

و) الترفيه من الضرورات الإنسانية. فالقلوب إذا ملت كلت، وإذا كلت عميت.. ينبغي أن يفسح الإعلام في كافة مجالاته للترفيه كحاجة إنسانية متجنبا الإسفاف وتحرش الغرائز.

هذا النهج الإعلامي هو السبيل لإعلام مسترشد بهداية الإسلام منفتح لحضارة العصر الحديث قادر على حماية الذات الثقافي من الركون لمفاهيم ماضوية متحجرة أو الاستسلام للغزو الإعلامي الخارجي.

ختامًا

إن تحقيق العافية الإيمانية والفكرية والثقافية يبدأ باتخاذ الموقف الصحيح من هذه القضايا موقف له وفاء لما ينبغي له الوفاء من التأصيل وله مستقبل في آفاق التحديث العولمة.

إن الدين ضرورة للإنسانية وكذلك التطور الفكري والثقافي والاجتماعي. دين الإنسانية هو ذلك الذي يشبع ضرورات الإنسانية العشر المادية، الروحية، المعرفية، العاطفية، الأخلاقية، الجمالية، الفنية، الاجتماعية، البيئية والرياضية. ويقبل التعايش مع التعددية ويفسح المجال للتطور من داخل مبادئه، وليس على حسابها.

obeikan.com